رسالة

إبراهيم بن عيسى الزاهد

(٢٤٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

* قال أبو الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات المُحدثين بأصبهان والواردين عليها» (٢/٣٤٦):

إبراهيم بن عيسى الزاهد (٢٤٤هـ)

كان عنده عن أبي داود، وشَبابة، وكان صاحب معروف الكرخي، توفي سنة: (٢٤٧هـ) (سبع وأربعين ومائتين).

وكان خيِّرًا فاضلًا عابدًا، لم يكن ببلدنا مثله في زمانه، لم يخرج حديثه، وما رأينا أحدًا حدَّث عنه إلَّا أبو العباس البزار أحاديث يسيرة.

• قال: قرأتُ في كتاب جدي عِظةً:

كتابٌ مِن سعيد بن العباس أبي عثمان، إلىٰ إبراهيم بن عيسىٰ:

آنس الله يا أخي وحشتك، وسكَّن روعتك، وستر الذي خفت كشفه منك، وأقامك مقام أهل الصدق برحمته، وسرَّك بجميع مواهب الدنيا والآخرة، وصلىٰ الله علىٰ محمد عبده ونبيه، وعلىٰ أهل بيته الطاهرين، الذين طهَّرهم الله تطهيرًا، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، وكفىٰ بالله وليًّا، وكفىٰ بالله نصيرًا.

فكتب إليه:

• من إبراهيم بن عيسىٰ الحقير في نفسه، الذليل بين يدي ربِّه، الفقير إلىٰ رحمة مولاه، إلىٰ أبي عثمان سعيد بن العباس، أكرمه الله بالتقوىٰ، وجنَّبه الرَّدىٰ، وغفر له في الآخرة والأولىٰ.

السلام عليك يا أخي، تحية من عند الله مباركة طيبة.

• فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إلـه إلَّا هـو، خـالقُ الخلـق ووليُّـه، ومُنتهىٰ الحمد، وهو به لم يزل ولا يزال واحـدًا في مُلكـه، ماجـدًا في عزِّه، أحدًا صمدًا، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

سبقت مشيئته في خلقه، خلقَ الخلقَ كما شاء، ودبَّر الأمورَ علىٰ مـا أراد، وجرت المقادير علىٰ ما أحبَّ.

قدَّر الأرزاقَ، ووقّتَ الآجالَ، وعدَّ الأنفاسَ والآثار بقضاءٍ وقدرٍ في علمه السابق، لا يُسألُ ربُّنا جلَّ جلاله، وتقدَّسـت أسـماؤه، ولا إلـه غيره، ﴿لا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهم يُسألون﴾.

• خصَّ مِن عباده بفضله ورحمته قومًا جعلهم ورثة الأنبياء، وحملة العلمِ، أزهدهم في الدنيا الفانية، وأرغبهم في الآخرةِ الباقية، مذكورين في الملأ الأعلىٰ، محبوبين في الناس، معروفين في الآفاق، يُحبُّهم من لم يرَهم، ويذكرهم من لم يُخالطهم، ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

جعلك الله يا أخي منهم.

• وصلىٰ الله علىٰ خيرِ خلقه محمد أكرم الأنبياء، وأفضل المرسلين في الخلق، أول الأنبياء في البعث، آخر الأنبياء محمد عبده ورسـوله، الأمين المُصطفىٰ، والنجيب المرتضىٰ، خاتم الأنبياء، والنور الساطع، والمُصباح الواقد، والضياء الأبلج، والسبيل المنهج، والـدليل علـىٰ المخرج، والقائد إلىٰ الحقِّ، والداعي إلىٰ الله بلسان عربيٍّ مُبين، ذاك

السيد المسوَّد، أشد العرب، وأكرم النسب، القُرشي الهاشمي، المكي المدني، الشافع والمُشفَّع، الصادق المُصدَّق، النبي الأُمي، المعروف في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم، الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

• حبيب ربِّ العالمين، وصفه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] صلوات الله عليه، وعلىٰ آله الطيبين الأخيار، أفضل وأطهر وأزكىٰ صلاة صلَّاها علىٰ أحدٍ مِن خلقه، وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المخصوصين بطاعته.

أما بعد،

• حفظك الله – يا أخي – حفظ العاملين بطاعته، الموفين بعهده، المُقيمين لحدوده، القائمين بحقِّه، الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، المُجتهدين في العبادة، المقيمين علىٰ سُنّة نبيه محمد ﷺ، حتىٰ يجعل درجتك في جناتِ عدن مع الذين وصفهم الله في كتابه المسطور، وكلامه الشفاء، والحقّ المُبين، وهو خير القائلين: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠]، جعلك الله منهم، فإن تفعل، فقد عظمت بها النعمة، وإلَّا فهو الهلاك.

• قد كنتُ – يا أخي – أسمعُ بذكرك، وقد مررت بك ثلاث مرات،

فجعلت أستعذر نفسي أن أسائل مثلك مع ما ارتكبت مـن الـذنوب، ولا أزداد إلَّا شرًّا.

• وقد أخبرنا بعض المشايخ، عن الحسن بن أبي الحسن، أنه قال: أقلُّوا مِن معرفةِ الصالحين أن لا تفتضحوا في أعينهم يومَ القيامة.

لا أَخلَفَ الله ظنَّك، ولا قطع رجاءك، ولا فضحني في عينيـك يـوم القيامة.

• وما ذكرت في كتابك من أمرِ العدوّ؛ فمقصوم ومخذول، وقد علم الله جل وجهه أن لا يقـوىٰ المخلـوق علـىٰ طاعـة الله إلَّا بمعونتـه، والعدوّ مُسلَّطٌ، فإن سُلِّطَ كان له سلطانٌ، ولا رادَّ لقضائه، وإن عُـصِـمَ العبدُ فالعدوّ ذليلٌ حقيرٌ.

• ونستعين بالله بالكلمة التي ألهمها الله حملةَ العرش: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

• واعلم – يا أخي – أنك في الزمان الذي وصفه الله، فقـال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة].

• والزمان الذي لا تدري ذا المال مِن أينَ اكتسب ماله ؟ أمِن حلالٍ أم مِن حرامٍ ؟ يأكل الرِّبا، فإن لم يأكل أصابه مِن غُباره.

• والزمان الذي قال النبي ﷺ: «**يُكذَّبُ فيه الـصَّادقُ، ويُـصدَّقُ فيـه الكاذبُ**».

• والزمان الذي كان أصحاب النبي ﷺ والتابعون يخافونه.

• فقد ابتُلينا بكثرة الهوىٰ، والخُصومات في الله، والمُجادلة في القرآن، وقد أُميتت السُّنن، وأُحييت البدع، وأرجو – إن شاء الله – لو لم يبقَ أحد في الدنيا إلَّا رجلٌ واحدٌ من أهل السُّنة والجماعة لكان أكثر؛ لأنه دينُ الله الأعظم الذي أظهره علىٰ الدينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركون.

• وقد ينبغي – يا أخي – للعاقل أن يعرف أهل زمانه، ولا يأتمن علىٰ دينه أحدًا، فإن العَبدَ إذا عَلِمَ أنه خُلِقَ وحده، ويموتُ وحده، ويُحاسَبُ وحده، وما قدَّر الله له من الذنوب والخطايا لا يحمله عنه غيره، يكون حذِرًا، ويتوقع رسول ربّ العالمين عند كل نَفَسٍ، وعند كل كلمة، وعند كل خطوة.

والدنيا ميدان الله، والمؤمنون خيل الله، اليوم المضمار، وغدًا السِّباق، ولا يجاوز الصراط إلَّا كل ضامرٍ مهزولٍ مِن خشية الله.

• واعلم يا أخي أن الأمر جِدٌّ ليس بالهزل، واسأل الله أن يجعل مرافقتك مع أبي بكر الصديق ﵁، وعمر الفاروق ﵁، ومع عثمان ذي النورين ﵁، ومع علي بن أبي طالب ﵁ أخِي رسول الله ﷺ، وابن عمِّه ختنِ رسوله، وسيف رسوله، يُبارز الأقران بين يدي رسول الله ﷺ، فهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون، الذين عَمِلوا بطاعة الله، وبكتابه، وسنة نبيه ﷺ.